



الحوار وضرورته

جيمس كيندر

مؤسسة التعايش-لندن

إنه لمن دواعي سروري أن أكون هنا اليوم. (أنا جيمس كيندر مدير مؤسسة التعايش وهي منظمة خيرية مقرها المملكة المتحدة تعمل في مختلف أنحاء العالم لتعزيز التفاهم بين اليهود والمسيحيين والمسلمين عن طريق التعليم والحوار والبحث).

يشرفني أن أخاطب هذا الجمع اللامع من العلماء والقادة من مختلف الجماعات الدينية. وينبغي أن تكون هذه اللحظة، لحظة فخر لنا جميعاً - كما قال الآخرون.

هنا في قلب أسبانيا ، نحن اليوم نعيد المثل العليا للاندلس ، حينما تمكن اليهود والمسيحيون والمسلمون من العيش سوياً وتبادل الآراء بجو من الحرية والصدقة.

دعوني هنا أن أهنئ الفريق الإسباني الذي قام بالترتيبات العملية اللازمة لهذا المؤتمر ، وقبل كل شيء ، أهنئ رابطة العالم الإسلامي وحكومة المملكة العربية السعودية التي كانت الملهم وراء عقد مثل هذا التجمع ، وجعلته أمراً ممكناً. ولكنني أعتقد أننا بحاجة إلى الاعتراف بأن المناخ الودي للتساؤلات



والنية الحسنة اللذين يسودان هذه المناقشات لا تعكس الصورة الحقيقية للعلاقات بين الأديان اليوم.

هناك توتر عنيف بين اليهود والمسيحيين والمسلمين - وضمن الطوائف المختلفة داخل هذه التقاليد. ووسائل الإعلام تطفح بالعناوين الرئيسية والتي تعلي من شأن هذا الاختلاف وانعدام الثقة - حيث تزهق الأرواح كل يوم في جميع أنحاء العالم نتيجة ذلك العداء.

وهذا العداء مع الجهل بالتقاليد العريقة لأدياننا وأديان الآخرين، يدفع لوجود أيديولوجيتين متنافستين و مدمرتين. من جهة، فإن أصحاب الدين يميلون إلى الانزواء واتخاذ مواقف أكثر تشدداً ومواقف مطلقة - حيث يلجأ الناس عادة إلى المطلقات، من ثم يقومون باضطهاد الذين لن يقبلوهم. ولكن من ناحية أخرى، خاصة في مرحلة ما بعد التنوير، وعصر العولمة، حين ظهر من يدعي أن بإمكان كل من العلم والتكنولوجيا الإجابة علي العديد من الأسئلة التي قام الدين من التعرض لها من قبل؛ فعلية فالعديد منهم يظنون أن الدين هو المشكلة وليس الحل. فها هنا لدينا تقسيم وإختلاف جديد: ليس بين الأديان، ولكن بين أهل الدين وبين من يرون أن الدين هو المشكلة.

من أجل رأب هذه الانقسامات تم إنشاء مؤسسة تعايش. حيث يتركز عملنا الرئيسي على التعليم - أي تعليم الناس ما يعني أن تكون يهوديا أو مسيحيا أو مسلما؛ والعمل على مساعدة الناس على فهم الجذور المشتركة لهذه التقاليد، وكذلك العمل على حث الناس على استكشاف دينهم وأديان الآخرين بشكل أكثر تعمقا وبمناخ بمفعم بالاحترام والود. وسأعود إلى هذه



البرامج والمشاريع في وقت لاحق. ولكنني أود، إذا جاز لي، أن أبدأ في ما اعتبره التحدي الأكثر إلحاحاً والأكثر أهمية في رأب الصدع بين الأديان. فإن التأثير السيئ و الهدام لما يسمى بالخبراء والمعلقين على قضايا الدين الذين يزدون من مستوى الخلاف و الخطر وانعدام الثقة.

فالعناوين الرئيسية التي تصرخ: " حملة صليبية جديدة ضد الارهاب " ، أو " واحد من كل أربعة من المسلمين يريدون أن يصبحوا مفجرين انتحاريين " ، أو " المزيد من الاعتداءات على اليهود في الضفة الغربية! ". هذه المحطات التلفزيونية التي تغذيها بصور وحشية وبشعة غير دقيقة.بالاضافة إلى إبراز الصور النمطية التي تؤكد وجود صدام بين الحضارات.

إذن! ما هي الحقائق وراء هذه القوالب النمطية؟ هذا هو ما سعيينا إلى معرفة خلال المشاركة مع معهد جالوب في شراكة لا تستهدف الربح لمدة عشر سنوات و نأمل خلال تلك المبادرة العمل على رفع اللثام عن بعض الخرافات التي تكمن وراء تلك القوالب النمطية.

طوال السنوات الست الماضية، قامت مؤسسة غالوب وهي من أكثر المؤسسات شهرة في العالم في مجال استطلاعات الرأي باجراء استطلاع لرأي عشرات الآلاف من الناس العاديين في جميع أنحاء العالم كي تقرر ما يعتقد المسلمون بحق، وما يعتقد العالم بحق عن المسلمين. وكانت نتائج استطلاعات الرأي مذهلة؛ فالحقائق لا تؤيد الفكرة القائلة أن هناك انقسامات حادة بين الاسلام والغرب وبين مختلف الأديان وبين المجتمعات المختلفة.



ما قامت به مؤسسة غالوب ، على حد قولها ، هو " العمل على ديمقراطية النقاش " .

فمثل هذه الاستطلاعات تساعدنا على تجاوز الاحكام المطلقة التي تقررها وسائل الإعلام ، وتساعد أيضا على اكتشاف رؤية لعالم أكثر سخاء ، وأكثر دقة ، وأكثر تشجيعا خلافا للعالم الذي ترسمه لنا العناوين الرئيسية لوسائل الاعلام.

إذن ماهى النتيجة التي قررتها استطلاعات غالوب عن العلاقة بين الإسلام والغرب؟

أولاً ، أنه على عكس ما قد يعتقده الكثيرين من الناس ، وخصوصا هنا في أوروبا في مرحلة ما بعد المسيحية ، وهو أن الدين لا يزال يشكل أمرا حيويا لمعظم حياة الناس. قام غالوب بطرح السؤال التالي: " هل الدين يعد جزءاً هاماً من حياتك؟ "

أجاب على هذا السؤال أكثر من تسعة من كل عشرة مواطنين " بنعم " في كثير من البلدان الإسلامية ، بينما كانت النسبة اكثر من الثلثين في الولايات المتحدة. و لكن على النقيض من ذلك ففي أوروبا حوالي ثلث من الذين شملهم الاستطلاع فقط قالوا إن الدين يشكل جزءاً مهماً في حياتهم.

في الواقع هناك دائماً خطر على العلاقات بين الثقافات عندما نفترض أن الآخرين يفكرون كما نفكر. ونحن في الغرب ينبغي علينا أن نتذكر أنه ، في مجتمع العولمة ، لدينا ميل لرؤية الدين في الأساس على أنه مسألة خاصة



تمارس خارج نطاق الأماكن العامة وهذا ليس الحال مع كل شخص. لذا إذا كنا نريد التعامل مع العالم بأدب واحترام، يتعين علينا أن نفهم الدور الذي يقوم به الدين في حياة الآخرين؛ ينبغي علينا أن نستمع و نتعلم.

وثانياً، وجدت مؤسسة غالوب أن معظم المسلمين يرغبون في علاقات أفضل مع الغرب، وأن معظم الناس في الغرب كذلك تريد علاقات أفضل مع الإسلام. وهذا أمر مشجع. إلا أن المشكلة تكمن أن معظم الناس في الغرب لا يعتقدون أن المسلمين يرغبون في علاقات أفضل معهم. ويتفاقم هذا الاختلاف في صورة طبق الأصل لنفس المشكلة وهو أن الغرب يهتم فعلاً لتحسين العلاقات مع العالم الإسلامي، ولكن قلة من الناس في العالم الإسلامي يصدقون ذلك. وهكذا فإن الصور النمطية التي تبثها وسائل الإعلام قد عملت بالفعل على إيجاد هذا الصدع وعليه فنحن بحاجة للتغلب على هذا الخوف وانعدام الثقة بالعمل على بناء جسور لرأب ذلك الصدع. في رأيي، مثل أحداث اليوم هي خطوة هامة في الاتجاه الصحيح.

كلمة السر هنا هي الاحترام حيث أبرزت نتائج استطلاع غالوب الأهمية المركزية للاحترام فيما يتعلق بالعلاقة بين الإسلام والغرب. ويشعر المسلمون ولديهم ما يبرر ذلك أن الغرب يظهر احتراماً ضئيلاً تجاههم. وتنعكس هذه المشكلة مرة أخرى. في استطلاع للرأي في الولايات المتحدة في ديسمبر ٢٠٠٥، أجراه معهد غالوب حيث قام بطرح السؤال التالي:

"ما الشيء الذي يعجبك في المجتمعات الإسلامية؟"



فكانت أكثر الإجابات شيوعاً " لا شيء "، وحلت الإجابة بـ " لا أعرف " في المرتبة الثانية. وقد شكلتا هاتان الإجابتان ٥٧٪ من الأميركيين الذين شملهم الاستطلاع. ولذلك فنحن في الغرب يتوجب علينا بذل المزيد من الجهود لمعرفة المجتمعات الإسلامية؛ هذا إذا كنا ندعي بصدق احترامهم. فعندما سئل المسلمون ما الذي يمكن للغرب القيام به لتحسين العلاقات مع العالم الإسلامي، أجاب معظم الناس: " احترام الإسلام، والتوقف عن اعتبار المسلمين أنهم بأقل منزلة ". أشجعكم على الاطلاع على نتائج استطلاع غالوب الذي تم نشره في كتاب ممتاز يحمل عنوان " من يتكلم باسم الإسلام؟ " تجدونه على موقعهم على الانترنت (www.MuslimWestFacts.com).

أما بالنسبة لي فإن الموضوع الرئيسي الذي يمكن أن أخرج به من كل هذا فيما يتعلق بكثير من المسائل، هو التشابه اللافت للنظر بين الردود في العالم الإسلامي والذين يعيشون في الغرب - وهنا مرة أخرى جاءت النتائج على خلاف القوالب النمطية مما يدل على أننا جميعاً أقرب إلى بعضنا البعض مما قد يفترضه ويظنه النقاد. فما هي، إذن، أهم القضايا التي تشغل بال المسلمين والغربيين على حد سواء؟ إنها قضايا الأمن الوظيفي؛ وضرورة السيطرة على التطرف والفساد وانعدام الوحدة داخل مختلف المجتمعات، وماذا الذي نريده من " الآخر "؟



الفهم والاحترام

الفهم ، كما قال آخرون ، يبدأ بامرین : السخاء ، والمعرفة . والسخاء يعتبر مرتكزا مهما لجميع التقاليد الدينية ، ومؤتمر اليوم هو ، في اعتقادي ، مثال جيد على ذلك حيث توجد الرغبة الودية الصادقة للتواصل مع الآخر ، وليس التفوق بين الجدران الامنة لتقاليدنا . المعرفة أمر حيوي إذا بنيت على أساس من السخاء وبذلك نتمكن من اكتشاف ما نشاطه .

إن مؤسسة تعايش ، وجامعة كمبردج ، ومؤسسة توني بليير للأديان وغيرها من الشركاء ، ملتزمون ببرنامج طويل المدى وعلى نطاق العالم والذي نأمل بواسطته تغيير الطريقة التي يتعلم بها الطلاب والجمهور الواسع عن دينهم وأديان الآخرين . إذا أردنا اليوم تجاوز هوس الاختلاف وعدم الثقة ، يتعين علينا أن نفهم أطفالنا أفضل مما نفعل نحن عن استقلالية وإسهامات التقاليد الدينية المتنوعة . عن طريق المعرفة والفهم يأتي الاحترام ، والاحترام هو بالتأكيد في قلب كل مجتمع متحضر . حيث يتخلل تقاليدنا الدينية والثقافية - ولكنه للأسف يبدو سلعة نادرة في الحياة العامة اليوم .

إن هذا المؤتمر ، يعد مفخرة لجميع الذين عملوا بجديه لتحقيقه وإنه خطوة في الرحلة تجاه المزيد من الاحترام . وأعتقد أنني أتكلم باسم جميع الحاضرين هنا عندما أقول إننا في غاية الامتنان للتشجيع والالهام الذي منحنا إياه هذا المؤتمر .